لقد كان شهيدنا يوقن أنَّ من يحمل بندقية يجب أن يحمل كتابًا، وأنَّ من يرابط في الثغور لا يُعذر في التخلّي عن نور الفكرة ووهج المعرفة، فكان الجهاد عنده تكميلًا للعلم، والعلم تزكيةً للجهاد؛ وهذا هو الجمع الرباني الذي يجب أن تتربى عليه الأجيال، وتُبنى به الأمم، وتُجدد به دماء الرسالة في العروق المتعبة.

وما إنْ ترى الأجيالُ الناشئةُ عالمًا أو طالب علمٍ قد غمس نفسه في ميدان الجهاد، وتقدَّم الصفوف دفاعًا عن دينه ومقدساته، مع ما أوتي من تميُّزٍ علميٍّ حتى تتهافت الأرواح على دعوته، وتجدُ في خطابه صدقاً وقبولاً، وفي مشروعه منهجًا للتطبيق، لأنَّ من صدَّق قولَه بفعله أُودعتْ كلماتُه في القلوب، وارتفعتْ فوق الأعناق، وسار خلفه الناس دون تكلُّفٍ أو زينةٍ دِعائية، أمَّا إذا أشبعهم القول سنين، حتى إذا جدَّ الجدُّ تأخّر وتخلّف، وقال لهم من بعيد: «سأراقبكم وأدعو لكم»، أو طعنهم بمواقفه النظرية الباردة، وتبريراته المترفة، كما يفعل بعض المتقاعسين اليوم، فإنهم لا يلبثون أن ينفضُّوا عنه، ويطووا صفحته، ويغلقوا دونه أبواب الاستجابة، لأنَّه باختصار خان مقام العلم، وتنكَّر لوظيفته الكبرى بأنْ يكون منارةً في الظلمة، لا زينةً في الرخاء، ويا ويل صاحب العلم حين يُخالفه العمل.

لقد وضع شهيدنا يده على الجرح النازف، حين قال كاشفًا عن عمق الأزمة: «نحن في دعواتنا نُعدُّ المسلمَ ليتعايش مع الواقع الموجود،لا ليصنع الواقع والسياق كما أراده الله»، إنَّها الكلمات التي تفضح التحوُّل الخطير؛ من دعوةٍ تُعيد تشكيلاً لحياة على هدى الوحي، إلى خطابٍ يُعلِّم الخضوع والانسجام مع واقعٍ مهزوم!، ومن مشروعٍ ربَّاني يصنع الرجال إلى برامج بشرية تُروِّض الأرواح على التكيُّف والتسويات، وكأنَّ الإسلام لا يصلح إلا في الزوايا المظلمة التي لا تحتك بالواقع.